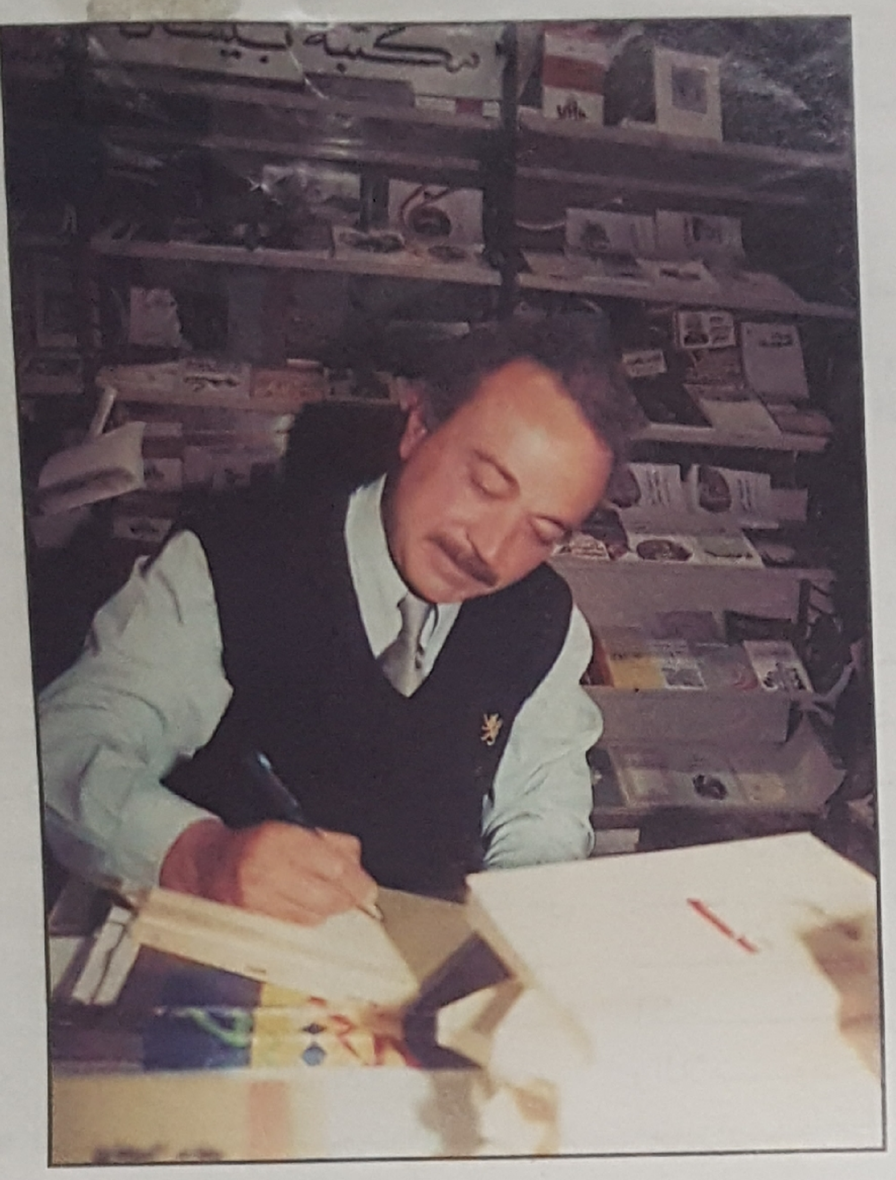

قصائد للتجوال وللاحتجاج

«خمسة» للشاعر جاد الحاج

يدفع على الدوم شعره الى هناك، الى عالم ابتكره لنزواته وفوضاه كتعويض عن عالم مفقود

■ في كتابه الصادر اخيراً عن دار السراة في لندن يجمع الشاعر اللبناني جاد الحاج كل نتاجه الشعري منذ ١٩٧٣ حتى ١٩٩٣. خمس مجموعات شعرية هي نتاج عقدين من كتابة الشعر والارتباط بالتجربة الحديثة منذ بداية السبعينات الى بداية التسعينات. مجموعات الكتاب الذي يحمل عنوان «خمسة» هي على التوالي حسب تاريخ صدورها، «قطار الصدفة» (١٩٧٣)، «٢٦ قصيدة» (١٩٧٩)، «الكتاب الثالث» (١٩٨١)، «واحد من هؤلاء» (١٩٨٤)، واخيراً «شقائق النسيان» (١٩٩٣).

منذ المجموعة الاولى والتالية الى الاخيرة او الخامسة تتشابك قصائد الحاج متآلفة كشريط طويل غير منقطع. وكأن للشعر فسحة اخرى ترتبط بالدرجة الاولى بصحوة الوعي الشعري وتكاوينه. ما بين الانتماء الى ضفة الحداثة واللغة الجديدة، والارتباط الوثيق بالحالة القروية والحنين اليها، من هناك من ذلك التضارب الملفت تتشكل ملامح القصيدة عند جاد الحاج.

لعل التسكع او التشرد وهي السمة التي تطبع معظم شعره هي في اعتباره بطاقة الدخول الخاصة به الى الشعر الحديث. فهو يدفع على الدوم شعره الى هناك، الى عالم ابتكره لنزواته وفوضاه كتعويض عن عالم مفقود، او عن عالم قاس معدم الشفقة وبارد كاللاشعر. بيد ان الشاعر لا يدفع بشعره الى ذروة ما يمكن ان يعكسه عالم التشرد واللامعنى، ولا يتورط في المغامرة والانفلات. ثمة ما يمسك القول الشعري لديه ويأسره ويؤطره داخل فسحة الاحتجاج. لا انفلات في القصيدة سوى في التذكارات وفي سلوك اقرب الى «الشيطنة» كما في الكتاب الاول «قطار الصدفة»: «... هكذا قال جدي/ فسرقت برتقاله/ وماله/ والنوم من عينيه...» (ص ١٥)، او في قصيدته «اساهر البحر» حيث تتجلى رغبته في الانتماء الى الهامش الى الانفلات، «على الطرقات المّ اعقاب اللفائف/ وأساهر البحر/ كأنني رصيف مرفأ...» (ص١٦). الى جانب هوس الشاعر برسم مناخات كانت شائعة ومسيطرة في السبعينات، وكانت في الواقع اكثر من واقع معيش واقل غرابة من ان يرسمها الشعر، كانت الوجهة الاخرى من شعره تلك الغاصة بتذكارات الطفولة والفتوة تقدم خصوصيتها وتفاصيلها الصغيرة والحميمة. وكأن الشاعر الحاج لم ينقطع يوماً عن بقعة ضئيلة اختصرت لديه الهناءة وبراءة العيش. وان كان شعره الذي كتبه لاحقاً اكثر جفافاً وميلاً الى القسوة، غير انه بقي اسير شغفه القروي، ففي «واحد من هؤلاء» في قصيدة «ذهب الموت» يقول الشاعر، «... سيكون من الصعب دائما/ مغادرة تلك القرية/ اسفاري/ بالكاد تبلغ حدود افيائها/ وامنيتي ان اموت فيها...». لعل في قول كهذا الكثير من الشبه بغنائية شعراء المهجر وحنينهم الى الديار، الى الموطن الاول. قد يكون هذا في اعتبار بعض شعراء الحداثة امراً مشيناً وغير طليعي غير انه للحق اجدى واكثر صدقاً من غنائيات المناطقية والمدينية والقبلية التي يتحفنا بها الحداثيون المقيمون.

جاد الحاج ينتمي الى جيل خرج يكتشف القصيدة الحديثة داخل مجاهل تجربة عذراء وفتح مع آخرين من رفقائه ومعاصريه بوابات ومنافذ كثيرة جاهزة لجيل يدركها اليوم ويدخلها جاهزة معبدة. شاعر رسم عالم حياته حسب مزاجه وسخطه ليؤلف في الشعر بيته الآخر المتروك والبعيد عن اسفاره وتجواله •

شارل شهوان

الانوار الاثنين ١٢ آذار ٩

جاد الحاج بعد كتابه «خمسة»: يسألونني لماذا لم اتغير؟

في كتابه «خمسة» الصادر حديثا عن دار السراة في لندن يجمع الشاعر جاد الحاج خمس مجموعات شعرية هي حصاد عشرين عام من الكتابة الشعرية والمراحل والمحطات حيث الشعر هو على حد قوله «الدهشة التي يؤججها البوح والكشف عن الذات».

وحول الهدف من جمع كتبه الشعرية في ديوان واحد وهل يعني ذلك انه ترك الشعر الى الكتابة القصصية والروائية قال جاد الحاج في حديث الى «وكالة فرانس برس» ان «الشاعر يولد شاعرا. يتعلم الصنعة يتثقف يجرب لكنه لا يختار كونه شاعرا انا لا اجلس ابدا الى طاولتي وفي ذهني قصد مبرم لكتابة قصيدة. هذا لم يحصل بالنسبة الي بل كانني اخترّن الشعر من دون قصد او وعي احمله حتى يحين موعد انبلاجه واذ ذاك تراه يكتبني، كما يقول البعض. والواقع في بساطة لا خيار لي في المسالة. كانه مرض لذلك من غير الوارد ان اترك الشعر الا اذا الشعر تخلى عني».

واضاف «اما الكتابة الاخرى قصصية وروائية ومسرحية وصحافية فهي برايي من ضمن التحديات الثقافية والتعبيرية التي احب مواجهتها وكلها في النهاية التي يؤججها البوح والكشف عن الذات».

وفي كتابه ادخل الحاج بعض التعديلات على بعض شعره فحذف واعاد صوغ بعض القصائد. وكان بعض الشعراء اعادوا النظر في شعرهم بعد فترة فيما رفض بعضهم هذا المبدأ. وعما اذا كان الشعر يحتمل مثل هذه اللعبة سيما وان الشعر ربما يفقد عفويته الاولى وارتباطه بالمرحلة والظروف التي ظهر فيها قال الحاج «في السؤال وبوضوح انني لم افعل شيئا جديدا. فمن فاليري الى ادونيس وعشرات غيرهم ليس في امر الاعادة سوى الافادة. وانا من جيل اختار قصيدة النثر قبل ان يتدرب على سالفتها الموزونة اي قبل ان يمتحن قدرته على ابتكار الايقاع. وكان البتر مع الماضي شرسا قاسيا وغير واع. ومع الوقت ادركت ان شعري يتوخى غنائية طالما اصطدمت بعائق النثر او سقط بعضها في النثرية».

وتابع اما القصائد التي لم تتعرض لمثل ذاك السقوط فلم احرك فيها ساكنا. وبالنسبة الى الشعر يرتبط اولا بكونه فنا خالصا لا بالظروف ولا بالمراحل. المهم في المسالة ان ترسيخ البديل الشعري الذي ورثناه عن الجيل الاول يستدعي في تجربتي هذه الاستعادة. ثم ان الدواوين الاربعة السابقة صدر منها ثلاثة في الحرب وفي جو بالغ الاضطراب والهشاشة واعتقد ان الخوف والصياغة الجديدة لم يؤديا الى تمويه الجسم البكر للقصائد المعنية بل خلصاها من الشوائب واتمنى ان يغربل النقاد تجربتي لعلنا جميعا نستخلص صدقها او جدواها.

واحيانا كثيرة يغدو شعر جاد الحاج وكانه وجه من سيرته الذاتية من همومه اليومية، في عيشه، في احلامه وخيباته وحول ما اذا كان الشعر يرتبط بالحياة ويحل محلها ويحررها قال «ربما لا يحل الشعر في النهاية الا في محله. ومحله برايي تحرير الزمن من وطأة الحياة من رقابتها وقسوتها وصلفها وانعدام عدالتها. الشعر يخترق قشرة البيضة. يكسر «بنقا» يغرب يغوص وارتباطه بالحياة حتمي لانها سرته ورحمه ومسقط راسه. وانا اكتب حياتي في كل كلمة ولم احاول ان افعل غير ذلك حتى الآن.

ومع ذلك فان عالم الحاج الشعري متشعب في عناصره واتجاهاته وتقنياته، متنوع كالتجربة التي عاشها مهاجرا مقيما معارضا رافضا بوهيميا حالما وعن

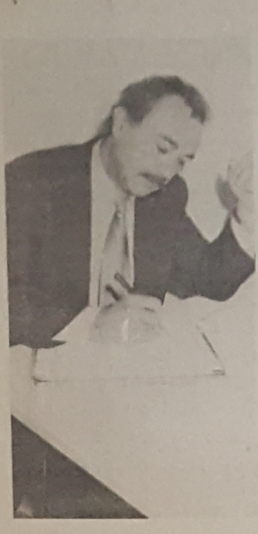

جاد الحاج: سأستقر يوماً

(جورج سعد)

سر هذا التشعب والتنوع قال: «الترحال، مع مرور الزمن يخيل الي اكثر فاكثر ان مرساتي لن ترتطم بالقعر الا في الموت. لا اطيق مياه المرافىء الناعمة الا لاسترد انفاسي وكلما طوبت خريطة انفتحت في افقي خرائط يعذبني واحقد عليه قليلا من يصل قبلي الى مكان بعيد واعقد العزم على بزه في المرات المقبلة. اريد هذه الارض اريد ان اقضمها كاجاصة».

وكتب جاد الحاج الشعر والرواية والقصة وسواها. وحول ما اذا كانت الكتابة السردية حلا لقضية الشعر وازماتها المتفاقمة اليوم قال اسمح لي الا احب هذا السؤال. ففي رايي ان القضية او الازمة كلمات للتعليق على احباط عملية التواصل بين المبدع والمتلقي. الا يقود الشعراء قطار الشعر؟ فيلجون به تلك المحطات المزدحمة عوض الدوران حول انفسهم وظلالهم. عفوا انك تثير حفيظتي بلا سبب واضح.

الاسئلة والاجوبة في بيروت

هذا ما كتبه شحاده وازن عن جاد الحاج وعبّر عن انطباعيته تجاه المجموعة الجديدة للشاعر. ولكن ماذا يقول جاد الحاج الى «صفحة الثقافة» في اثناء زيارته الاخيرة الى بيروت.

وكانت اسئلة طرحت عليه وتمحورت حول جمع المجموعات الخمس. علاقته بشعره وبرحيله الدائم في الدنيا هل يطول.

وكان ان سجل اجوبته بعفوية وكتب هذه الانطباعات.

□ «جمعت ما كتبته وما نشر لي في سنوات الحرب المضطربة كما يجمع اي مشتت فتافيت متاعه واشتغلت في هدوء وتان على تنقيح وتبويب وترتيب هذه الاشعار لئلا يصيبها من الهدر ما اصاب مجمل حياتي من جهة اخرى كان علّ ان اعيد النظر في قصيدتي، من الناحية الفنية، على ضوء النضج والادراك اللذين اصابائي اذ تبين لي انني غنائي بالفطرة ولا بد لشعري ان يستجيب الى الغنائية الفطرية في نفسي.

□ اكتب لانني لا استطيع الا ان اكتب. قد يكون ذلك تطهيريا او مجرد تنفيس تحول مع الزمن الى ادمان لكنه يتحول الى عمل فني مع الوقت او الى مشروع شعري اذا صح التعبير.

□ ساستقر يوما. وقد يكون اخر ايامي على الارض.

□ يسالونني دائما لماذا لم اتغير، اقول انه الحب. فانا في حال عشق شبه مستمرة واعتقد. بيولوجيا. ان الانسان في مرحلة الاعواء والشبق يتجدد من الداخل وينصابى ويصبو فيعوده الصبا والشباب.